المحاضرة الأولى

النقد الأدبي، المفهوم والقضايا.

النقد لغة: تحمل كلمة نقد مجموعة من المعاني في لغتنا العربية فبالعودة إلى لسان العرب لابن منظور نجد: النقد والتنقاد: تمييز الدراهم واخراج الزيف منها. أنشد سيبويه:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراهم تنقاد الصياريف

وقد نقدها ينقدها نقدا وانتقدها وتنقدها، ونقده إياها، ونقده إياه نقدا: أعطاه فانتقدها أي قبضها والنقد إعطاء الدراهم وأخذها وتمييزها. نقدت الدراهم وانتقدتها إذا أخرجت منها الزيف، وناقدت فلانا إذا ناقشته في الأمر.

منقد الرجل الشيئ بنظرة...اختلش المظر نحوه، والانسان ينقد الشيء بعينه: وهو مخالسة النظر إليه، أي لا يفطن له، وفي حديث أبي الدرداء:"أن نقدت التاس نقدوك، وأن تركتهم تركوك". ونقدنه الحية أي لذغته.

النقد اصطلاحا: (النقد الأدبي):

الثابت إلى يومنا أن لفظ النقد في أدبنا العربي لا يسبق القرن الثالث للهجرة حيث ألف قدامة بن جعفر (ت337) كتابه تقد الشعر الذي ذكر فيه أن العلماء ويقصد بهم معاصريه وسابقيه قد اهتموا بالشعر من جهة العروض والقوافي ومن جهة اللغة والمعاني، ووظفوا لذلك العلوم المناسبة، وتأخروا في معرفة جيد الشعر ورديئه، إذ لم يؤلفوا في ذلك كتابا ولم يضعوا له علما.

وفي القرن الرابع للهجرة تردد لفظ النقد والنقاد كثيرا حيث تجده في كتاب الموازنة للآمدي، وفي القرن الخامس للهجرة وضع ابن رشيق القيرواني كتابه العمدة، وأفرد فيه بابا كاملا في نقد الشعر أتبعه بأبواب أخرى كثيرة جعلت فروعا لما ذهب إليه أساسا.

في مرحلة الحداثة والمعاصرة:

أما في هذه المرحلة فمن الصعب الوقوف على مفهوم دقيق وشامل قائم بذاته للنقد، ذلك أن طبيعة النقد تخضع لحتمية التطور، والتفاعل مع العلوم الانسانية في بيئاتها المختلفة، واستنبط منها الناقد في تبرير مقاييسه واعطائها صفة موضوعية، ومنها فالخطاب النقدي أصبح لا يستمد استراتيجيته من موضوعه، بل من الخطابات الإنسانية المتعددة النيي تتداخل مع المكونات السياسية والثقافية للمجتمع. هذا ما جعل مختلف المفاهيم المقدمة لمصطلح النقد ترتبط بالمستوى المعرفي لصاحبها؛ أي أنها تعبر عن رأي صاحبها في زمان ومكان معينين، وتكشف عن مستوى تجربته وفهمه الخاص لوظيفة النقد وماهيته.

بالإضافة إلى أن النقد الادبي المعاصر لم يعد ذلك الفن الذي يرتبط وجوده بوجود آخر أي الادب، حيث أخذت فعاليته تستقل نوعا عن الأدب، وأصبح يميل أكثر إلى الاتصال بمختلف أنواع المعارف الأدبية الإنسانية، ليستفيد منها، حيث يقول الناقد غالي شكري: "ليس صحيحا مثلا أنه حين يغيب الأدب –إذا غاب– يغيب النقد، لأن النقد ليس نباتا طفيليا يتسلق أشجار الورد. ولأن النقد ليس مجاله الوحيد هو التطبيق على الادب فإن له مجالا آخر حيويا هو التنظير والتأريخ والتأصيل".

غير أن هذا لا يعني انسلاخ النقد التام عن الأدب، ولكنه في الوقت نفسه غير تابع له. فمن بين التعاريف التي أطلقها النقاد على هذا المصطلح نذكر: "هو فن دراسة الآثار وإظهار قسمتها والتمييز بين الأساليب المختلفة" وعرف أيضا: "هو فلسفة الأدب لأنه يجلو جوهره، ويفسر الحقائق التي ينطوي عليها".

ومن هنا أصبحت مهمة النقد هي تفسير العمل الأدبي للقارئ ومساعدته على فهمه وتذوقه، وذلك عن طريق فحص طبيعته وعرض ما فيه من قيم، كما عرفه محمد النويهي بقوله: إن جوهر النقد الأدبي يركز أولا على الكشف عن جوانب النضج الفني في النتاج الادبي وتميزها عن سواها عن طريق الشرح والتحليل ثم يأتي بعد ذلك الحكم عليها.

أما فيما يتعلق بالنقد الجزائري فنشير إلى أن أغلب نقاد الادب لم ينشغلوا بتقديم تعريف للنقد الأدبي بقدر اهتمامهم بالحديث عن وظيفة النقد ومراحله وأهدافه ومناهجه. فمن التعاريف المتداولة نجد:

1-النقد تفسير وتقويم وتوجيه: وهو التعريف المتداول عند النقاد الواقعيين لاهتمامهم بالبحث عن المغزى الاجتماعي داخل العمل الأدبي وبطه بالواقع الخارجي، وبالتالي اعتبار الأديب صاحب رسالة يؤديها في مجتمعه، وقد ذهب إلى هذا المعنى محمد مصايف عندما حدد المرتحل الثلاثة: "الدراسة التفسير التقويم".

كما أن وظيفة النقد الأدبي في نظر النقاد الواقعيين لا تقتصر على متابعة الأعمال الأدبية وحدها، وإنما تمتد لتشمل كل ما له صلة بالحياة الفكرية والأدبية ويمكن حصر مهام النقد ودوره حسب هذا التوجه الواقعي فيما يأتي:

-تفسير الاعمال الأدبية والفنية وتحليلها والكشف عن العوامل المؤثرة فيها والبحث عن أغراضها القريبة والبعيدة.

– تمييز العمل الادبي الجيد من غيره والاهتمام بالتفاصيل الجيدة فيه.

–تقويم العمل الادبي وتحديد مكانه في خط سير الادب.

–تحديد دور العمل الادبي في المجتمع ومدى تأثره بالمحيط وتأثيره فيه.

–الكشف عن القوانين الخاصة والعامة التي يتسم بها كل عما أدبي وعلاقة ذلك بالحركة الأدبية المعاصرة.

–تأكيد القيم الحضارية والفنية والفكرية التي يتوجب على المبدع تحقيقها.

–تعميق الوعي الإيديولوجي عند كل من الكاتب والقارئ معا، ونمية احساسهما الجمالي بقضايا الواقع والمجتمع.

–العمل على التأثير في الحركة الإبداعية ككل وتوجيهها نحو التعبير عن الطموح الإنساني، والتوجه الحضاري.

2–النقد إبداع: ويتبنى هذا الرأي الناقد عبد المالك مرتاض الذي يذهب في تعريفه للنقد الى قوله: "النقد في مدلوله العالي ابداع فني صرف، وأي نقد لا يرقى إلى هذه المكانة فهو مجرد لغو، ومحظ باطل وفضول". وهذا الرأي سبق وأن أفصح عنه ميخائيل نعيمة في الثلاثينيات من القرن العشرين، استجابة للرؤية التأثرية الانطباعية التي ترتكز على الذوق، فعبد المالك يهدف من وراء هذا التعريف إلى الابتعاد عن التعاريف السابقة والتوجه به نحو مفاهيم تحتكم إلى النص وحده دون اللجوء إلى العوامل الخارجية البعيدة عنه، لذلك نجده يركز في تقده على وظيفة التحليل. والتحليل عنده يعني حل اللفظ عن اللفظ، وتفكيك عناصر النسج الأسلوبي إلى أدنى عناصرها لإقامة بناء أدبي جديد قائم على إجراء محدد.

وانطلاقا لفهمه لهذه الوظيفة (التحليل) وجد أن المحلل مبدع ثان، لذلك يفضل استعمال مصطلح الابتداع على التحليل الادبي، وهو يذهب إلى التمييز بين النقد والقراءة: "فالنقد مسؤولية وموقف، فإن لم يكنهما فلا كان! والقراءة حرية وتحرر فإن لم تكنهما فلا كانت! والنقد موقعة ولملمة وموضعة ومفهمة. والقراءة رمرمة وخوم ورصد وغوص.

مراجع الدرس:

-يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين للطباعة والنشر.

-عمار بن زايد، النقد الأدبي الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990.

-صلاح فضل، في النقد الأدبي، مكتبة طريق العلم، 2007.

-عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي والدراسات الادبية، دار المعرفة الجامعية، مصر 2008.